مِنْ حَدِيْثِ عَاشُورَاءْ

- نهضة الحسين(ع) والإسلام.
- العزة والذلة: المعنى، والمعيار.
- الموقع والدلالات.
- البصيرة: المعنى والطريق.
- سيد الشهداء (ع) الثبات والتسليم.

بقلم

الشيخ جهاد الاسدي

الناشر قناة: (احاديث الدين والحياة) الرابط: https://t.me/ahadith2020

١٤٤٢-٢٠٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد واله الطيبين الطاهرين.

تتناول هذه الأوراق بعض مفاهيم وعِبَر فاجعة عاشوراء، ابتعدت عن لغة المصطلح و عن تفاصيل المباحث والتعمق فيها، اذ الغرض منها التذكير والفات النظر وليس التدقيق والتحقيق العلمي.

نشرت هذه الأوراق بالأساس في تطبيق تلغرام قناة (احاديث الدين والحياة)، في محرم عام ١٤٤٢.

ومن هنا فيسرني ان اهديها لكل مشتركي القناة الكرام، إذ لولا حضورهم وتفاعلهم لما كان لها ان تنجز.

اسأل الله سبحانه ان تكون مورد نفع، ومنه التوفيق والسداد.

جهاد الاسدي

محرم/١٤٤٢-أيلول/٢٠٢٠

المحتوى الإجمالي:

(انقر للوصول)

نهضة الحسين (ع) والاسلام

أسئلة فطرية

هناك ثلاثة اسئلة تطرح نفسها على الانسان بشكل فطري، من اين اتيت؟ واين انا؟ والى اين سأذهب؟، ومن الواضح ان هذه الاسئلة الثلاثة تحتل موقعها اساسيا في مسيرة الانسان وفي تحديد مصيره وطريقة عيشه.

بحسب فهمي ليس ثمة جواب مقنع عن هذه الاسئلة سوى لدى الدين، فالدين يقدم للعقل الاشارات والدلالات والبيانات الكافية لتكوين جواب تفصيلي ومتسق لهذه الاسئلة، و يتكفل ذلك علم العقائد فهو الموقع المناسب للخوض في اجابة تلك الاسئلة.

اذن يقدم الدين بيانا يفسر وجود الانسان ومبدئه وغايته.

يتيح الدين للعقل البشري من خلال توضيحاته وبياناته تفاصيل اهم بعدين يحتاجهما الانسان بشكل فطري، وهما الحقيقة والعدالة، الدين يتفاعل مع العقل ويتكامل معه بحيث يعطيه الخطوات اللازمة للعثور على الحقيقة و لتطبيق العدالة، وهما مطلب الانسان.

قال تعالى: (قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ)[1].

فالله سبحانه هو وحده الهادي الى الحق، ومن هنا فهو أولى ان يتَّبع.

وقال سبحانه: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ)[2]. فأحكامه و أوامره سبحانه هي متلبسة بالعدل، خالية من الظلم، حين ينظر لها المرء بعين التجرد و الحياد.

---

١ يونس:٣٥

٢ النحل:٩٠.

وتهتم العلوم الإسلامية، ومن أهمها علم الكلام والفقه، ببيان تفاصيل توفر الدين على الحقيقة والعدالة، ويمكن لمن يرغب بمزيد اطلاع حول الموضوع مراجعة هذين العلمين الاصيلين.

يعني ذلك ان الدين -في اهم ادواره- بمثابة برنامج عملي يكفل للإنسان حياة مرضية طيبة، قال تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)[1]، بحسب الآية: الايمان وهو يعني الالتزام بالحقيقة، والعمل الصالح وهو يعني الالتزام بالعدالة، هما ضمانة الحياة الطيبة في هذا العالم، وضمانة الاجر والثواب في ما بعده.

وقد ورد عن الامام الباقر(ع) في تفسير الآية انه قال: (إذا عرفت الحق فاعمل ما شئت من خير يقبل منك، إن الله عز و جل يقول: مَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَ هُوَ مُؤْمِنٌ ...)[2] ومن يلاحظ تجارب البشر على ويرصدها بعين الانصاف، يجد ان أولئك الذين يتمسكون بالحقيقة ويلتزمون العدالة

---

١ النحل:٩٧.

٢ البرهان في تفسير القرآن، ج٣، ص: ٤٥٢

يعيشون في راحة وسكون داخلي، ولعل ذلك هو ما يستفاد من الحياة الطيبة التي ذكرتها الآية الشريفة اذ ورد عن الامام الصادق (ع) تفسير الحياة الطيبة بالقنوع[1].

انتشار الدين جبري او اختياري؟

حين نلاحظ الظواهر من حولنا، نجدها تنقسم الى نوعين اساسيين:

الاول: مثل ظاهرة شروق الشمس، هذه الظاهرة لا دخل للإنسان في وجودها، سواء رضي الانسان او لم يرض، اقتنع او لم يقتنع، قبل او لم يقبل، تبقى الشمس تشرق، وهكذا هناك الكثير من الظواهر من هذا النوع لا دخل للإنسان في وجودها او استمرارها وانما هي خارجة عن دائرة تأثيره تماما.

الثاني: مثل بناء المساكن، وجود المساكن واقع تحت تأثير الانسان واختياره وسعيه ونشاطه، ان قرر وسعى وعمل على بناء المساكن سيكون لها وجود

---

١ البرهان في تفسير القرآن، ج٣، ص: ٤٥٣

وان لم يقتنع ولم يعمل لن توجد المساكن لوحدها، فوجودها اذن منوط بفعل الانسان وقناعته.

وهنا نتساءل: هل يندرج انتشار الدين تحت النوع الاول، او يندرج تحت النوع الثاني؟

الجواب: ليس انتشار الدين خارجا عن ارادة الانسان كشروق الشمس مثلا، بل انه يتبع قناعة الانسان وفعله وعمله، وهذا ما تشير اليه النصوص القرآنية الكثيرة، ومنها: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآَمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ)[١].

انتشار اذن منوط بإرادة الانسان وعمله على تطبيقه وحمله والايمان به، فبقدر ما يتحقق ذلك الالتزام يكون اثر الدين، ان اشتد وان ضعف ضعف.

---

١ يونس:٩٩.

هذا من جانب ومن جانب آخر نجد ان الدين كبرنامج يقبل التشويه والتحريف. لأنه يعتمد في بيان الهداية والضلالة على الأدوات البشرية المتمثلة باستخدام اللغة والعقل والجوارح.

ولذا فهو قابل لان يتلاعب به الانسان وان يمارس عملية تشويه واعادة انتاج، بحيث تفرغ الدين عن محتواه، فلا شيء يمنعه من التلاعب والتحريف والتشويه بعد ان كان واقعا تحت اختياره ومتحركا بأدواته.

ومن يقرأ القران يجد انه يلمح ويصرح بوقوع الانحرافات في الديانات من خلال انحراف نخبها فاتباعها، وبالتالي ضياع الدين وتشويهه كما حصل في الديانة اليهودية والديانة المسيحية وهكذا بقية الديانات المختلفة، والسؤال:

هل كان الاسلام استثناءا من تلك القاعدة؟

الجواب: كلا، فحتى الاسلام معرض للانحراف، بمعنى انه قابل لان يتم تشويهه بطريقة تفقده جوهره، ومن يقرأ التاريخ الاسلامي، وخصوصا الاحداث الهائلة التي حصلت بعد وفاة النبي (ص) والتي كانت بدايتها

تحت سقيفة بني ساعدة حين تم تنصيب من لم ينصبه الله سبحانه على رأس امة الاسلام وما جرى بعدها من احداث، يلمس بوضوح ما اشرت اليه، وان مشروع الإسلام وهو الدين الخاتم قد أخذ يبتعد من نقطة السقيفة عن استقامته، فبعد وفاة النبي (ص) حصل اختلاف بين المسلمين وكان اختلافا جوهريا وليس هامشيا، تصدت الزهراء (ع) وهي ابنة النبي (ص) لبيان عمق هذ الخلاف وما سيجره على المسلمين من الويلات وان ابعاد الامام علي عن موقعه الشرعي كإمام للمسلمين سيؤدي الى كوارث و يقود الى محن وفتن، فكان من ضمن ما قالت : (أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدي فمالكم كيف تحكمون ؟ أما لعمر إلهك لقد لقحت فنظرة ريثما تنتج ، ثم اختلبوا طلاع القعب دما عبيطا وزعافا ممقرا ، هنالك يخسر المبطلون ويعرف التالون غب ما أسس الأولون)[١] وكان ما حذرت منه فعلا من الوقوع في الفتن و الضلالات وسفك الدماء وهتك الحرمات على طول خط التاريخ.

---

١ معاني الاخبار، الشيخ الصدوق، ٣٥٥.

توفي النبي (ص) عام ١٠ للهجرة، ونهض الحسين (ع) عام ٦١ للهجرة، الفاصل الزمني بينهما هو نصف قرن تقريبا، آل المسار الذي بدأ بالسقيفة الى ان يكون الشخص الذي يحتل موقع رسول الله و ينبغي ان يعامل كما يعامل رسول الله من كونه اولى بالمؤمنين من انفسهم وكونه واجب الطاعة وغير ذلك مما ثبت للنبي (ص)، آلت الامور الى ان يكون الشخص الذي يشغل موقع النبي هو يزيد بن معاوية!، ان نسمع له ونطيع كما كنا نسمع لرسول الله ونطيع، وان تسمع الاجيال له وتطيع كما انها تسمع لرسول الله وتطيع!.

لا اريد التفصيل كثيرا حول شخصية يزيد، ولكن باختصار: من يقرأ التاريخ ويتعرف على شخصيته بحياد يدرك –بوضوح- أن الدين سيكون مجرد واجهة تعود الجاهلية التي حذر القرآن منها، بكل ابعادها وبحذافيرها كثقافة وكمصدر معرفة وكطريقة عيش تعود الى امة الاسلام ولن يعرف المسلمون من الاسلام سوى اسم مضمونه جاهلي بامتياز.

يزيد في اقل ما يمكن ان يوصف به، انه كان جاهلي العقيدة ولم يدخل الايمان قلبه ولا راود عقله، يدل على ذلك سيرته، ويكفي انه تمثل قائلا حين وضع امامه رأس الحسين (ع):

ليت أشياخي ببدر شهــدوا * جزع الخزرج من وقع الأسل

قد قتلنا القرم من ســـــاداتكم * وعدلنا ميل بدر فـاعتدل

فأهلوا واستـــهلوا فرحا * ثم قالـــوا يا يزيد لا تســـل

لست من خندف إن لم أنتقم * من بنى أحمد مـا كان فعل

لعبـــت هاشم بـــالملك فلا * خبـــــر جاء ولا وحى نزل

وقد علق الطبري وهو من كبار مؤرخي اهل السنة على ذلك قائلا: (هذا هو المروق من الدين وقول من لا يرجع إلى الله ولا إلى دينه ولا إلى كتابه ولا إلى رسوله ولا يؤمن بالله ولا بما جاء من عند الله)[١].

---

١ تاريخ الطبري، ج ٨ : ١٨٧.

كيف يمكن اذن لمن حاله هكذا ان يتولى قيادة المسلمين، وان يبين لهم احكام الدين، وان يعمل فيهم بالعدل الذي نزل به القرآن الكريم وجاء به الرسول العظيم (ص).

ان ذلك لمحال.

حركة سيد الشهداء ونهضته، مثلت حاجزا صلبا امام استمرار يزيد والخط الذي انتج خلافة يزيد من تمثيل الاسلام، مثلت حاجزا لانها سلبت القداسة عن هذا الحاكم، وجردته من أدعاء خلافة النبي الأعظم (ص) ومنعته من ينطق عن الله ورسوله، و نقضت أي فرصة لشرعيته و ارست الفصل بينه وبين الدين الاسلامي، ما اعطى مناعة صلبة للدين تجاه كل ما يمكن ان يعرضه للتشويه ويضيع حقيقته ويضيع عدالته، ولو لم ينهض الحسين (ع) نهضته تلك لما امكن ان للباحث عن الدين الحق ان يعرف ان يزيد وان كان حاكما الا انه لا يمثل الاسلام ابدا، نقاء الدين ونصاعته وحقيقته كان عرضة للتشويه وبالتالي الاندثار ولولا نهضة الحسين (ع) لما بقي له اثر (على

الإسلام السلام إذ قد بليت الأمة براع مثل يزيد)[1] قالها سيد الشهداء و ظل صداها يتردد في اروقة التاريخ.

خلاصـــة القـــول: ان حركـــة الـــديانات الســـماوية والتـــي كـــان الاســـلام المحمـــدي هـــو النســـخة الاخـــيرة منهـــا كانـــت عرضـــة للتشـــويه، وان تشـــوهها يعنـــي فقـــدان قـــدرة الانســـان عـــلى الاهتـــداء للحـــق والعـــدل، و وقوعـــه في تيـــه الضـــلالة والباطـــل، وان الاســـلام تعـــرض بـــدءا مـــن حادثـــة الســـقيفة وصـــولا الى تـــولي يزيـــد للتشـــويه، وان نهضـــة الحســـين (ع) ووقوفـــه بوجـــه ذلـــك التشـــويه وتحملـــه لكـــل تلـــك المصـــاعب والمحـــن الرهيبـــة قـــد حفظـــا الإســـلام مصـــدرا للحـــق والعـــدل، واتاحـــا لكـــل مـــن يطلـــب اســـلاما صـــحيحا ومنبعـــا الهيـــا نقيـــا ان يصـــل لمبتغـــاه، ومـــن هنـــا كـــان احيـــاء نهضـــة الحســـين (ع) هـــو احيـــاء للـــدين ووقـــوف بوجـــه واحـــدة مـــن اخطـــر الانحرافـــات التـــي تعـــرض لهـــا والتـــي لازال مـــع كـــل الأســـف اثرهـــا مســـتمرا ولـــه ابـــواق واقـــلام تـــدافع عنـــه.

---

١ الفتوح ، بن اعثم، ج٥ ص١٧.

العزة والذلة: المعنى والمعيار

بين السلة والذلة

(ألا وإن الدعي ابن الدعي قد تركني بين السلة والذلة وهيهات له ذلك مني ! هيهات منا الذلة ! أبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون)[1].

الامام الحسين (ع)

نحاول ان نقف في حديثنا على تحديد المقصود من كلمة الامام الخالدة : (هيهات منا الذلة)، وان نفهم متى يمكن ان نصف شخصا بانه ذليل او عزيز ؟.

---

١ الاحتجاج، الشيخ الطبرسي، ج٢، ص٢٥.

ما معنى الذل والعز؟

الذل في اللغة العربية يعني الخضوع، والانقياد، كما يفيد ذلك الخليل الفراهيدي، قال:

(الذلول أي المنقاد من الدواب، ذل يذل، ودابة ذلول: بينة الذل)[١].

نقيض الذل هو العز و هو يعني الامتناع وعدم الخضوع والبعد عن ان ينال وان يكون في المتناول، قال الخليل:

(ويقال: عز الشيء، جامع لكل شيء إذا قل حتى يكاد لا يوجد من قلته، يعز عزة)[٢].

و يقول العسكري: (العز يتضمن معنى الغلبة والامتناع على ما قلنا، فأما قولهم عز الطعام فهو عزيز فمعناه قل حتى لا يقدر عليه فشبه بمن لا يقدر عليه لقوته ومنعته لان العز بمعنى القلة)[٣].

---

١ العين، الخليل بن احمد الفراهيدي، ج٨، ص١٧٦.

٢ المصدر السابق، ج١، ص٧٦

٣ الفروق اللغوية، العسكري، ص٣٥٥.

العزة الوهمية والعزة الحقيقية

قد يتصور البعض ان العزة تتحقق بالمال فالفقر ذلة..

او بالجاه فمن لا يملكه فهو ذليل..

او بحمل السيف فمن لا يحمله فهو ذليل..

وهذا تصور خاطئ، اذ ان هذه الامور جميعا لا توفر لوحدها العز الحقيقي الثابت، فقد يكون الغني ذليلا والفقير عزيزا، وصاحب المنصب ذليلا والمجرد منه عزيزا، وحامل السيف ذليلا و من لا يحمله عزيزا.

نعم قد يتراءى لنا ان من يكون كذلك فانه عزيز، نظرا لعدم تمييز ما هو حقيقي مما هو وهمي زائل لا دوام له ولا استمرار، ولكن في حقيقة الامر هي عزة طارئة لا قرار لها ولا ثبات وسرعان ما تزول (كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآَنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا).

العزة الحقيقية:

العزة الحقيقة بحسب بيان القران واهل البيت(عليهم السلام)، وهو البيان الحق: تتمثل في طاعة الله سبحانه، الخضوع لله سبحانه هو العز، والتمرد عليه هو الذل، حقيقة.

قال تعالى: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا)[1]

وقال سبحانه: (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ)[2].

الآية تفيد الحصر، يعني ان العزة هي لله ورسوله والمؤمنين فقط، فلا عزة خارج هذه الدائرة.

وقد ورد عن الامام جعفر بن محمد الصادق (ع) : (من أراد عزا بلا عشيرة، وغنى بلا مال ، وهيبة بلا سلطان ، فلينقل من ذل معصية الله إلى عز طاعته)[1].

---

١ فاطر: ١٠

٢ المنافقون:٨

فالعز يكمن في طاعة الله والذل يكمن في معصيته.

وعنه أيضا: (إن الله فوض إلى المؤمن أموره كلها، ولم يفوض إليه أن يكون ذليلا، أما تسمع الله تعالى يقول: (ولله العزة . . .) فالمؤمن يكون عزيزا ولا يكون ذليلا، إن المؤمن أعز من الجبل، لأن الجبل يستقل منه بالمعاول، والمؤمن لا يستقل من دينه بشيء)[٢].

وقد روي ايضا: (أوحى الله تعالى إلى داود (ع) : يا داود ! إني وضعت العز في طاعتي ، وهم يطلبونه في خدمة السلطان فلا يجدونه)[٣].

نستنتج من ذلك: ما دام المرء مطيعا لله سبحانه فهو عزيز، ومادام عاصيا له فهو ذليل، سواء كان ذا جاه او مال او يحمل السلاح او لم تكن.

---

١ الخصال، الشيخ الصدوق،ص١٦٩.

٢ الكافي، الشيخ الكليني، ج٥،ص٦٣.

٣ الجواهر السنية، الشيخ الحر العاملي، ص٨٨.

لماذا كان العز الحقيقي هو طاعة الله ؟

لان العزة تعني الصمود والثبات لمختلف الطوارئ التي تحيط الانسان في هذه الحياة، وصمود الانسان يتوقف على قوة المرتكز الذي يستند اليه، ولا مرتكز ومستند اقوى من الله سبحانه بل لا مستند غيره حقيقة، فكل قوة اخرى وعزة اخرى هي عزة موهومة بالغا ما بلغت.

الامام الحسين (ع) اذن وجد العزة الحقيقية في طاعة الله سبحانه، فأطاعه، ماشيا الى المواجهة والمنية بقدم ثابت وقلب مطمئن، ولو انه وجد طاعة الله في خيار آخر لما تردد في سلوكه حتى لو كان هو بيعة يزيد، لأن المدار عند سيد الشهداء هو طاعة الله سبحانه، فبها العز، ولا شيء آخر.

لماذا عبر الامام عن رفضه الخضوع ليزيد بأنه ذل؟ ولم يقل انه معصية لله سبحانه؟

الذي يبدو والله العالم، ان سبب ذلك هو ان الخضوع ليزيد لم يكن معصية فقط، بل كان مضافا اليها ذلا وعبودية نظرا لطبيعة شخصية يزيد، ونظرا لمدى استهتاره بكل القيم والأعراف حتى الإنسانية، يزيد لم يكن خارجا عن الإسلام فقط بل كان خارجا عن القيم الإنسانية العامة أيضا، التي

يدركها ويقبلها كل عاقل لو نظر الى فطرته، ومن هنا فرفض الحسين للخضوع له ليس فقط لأنه عصيان لله سبحانه بل هو تمرد عن القيم التي يرى جمالها كل انسان، ومن هنا فلم يركز الامام على مسالة الطاعة والمعصية بقدر ما ركز على مسالة الذل و رفضه، هذا الذي يبدو والله سبحانه العالم.

ان هذا الإعلان الذي اطلقه سيد الشهداء فصار شعارا يتردد صداه على طول التاريخ (هيهات منا الذلة)، يكشف لنا بوضوح بأن العزة وهي مطلب انساني لا وجود لها الا بطاعة الله سبحانه، فهناك ارتباط بين طاعته وبين العز، وان تصور انفكاكهما تصور مجانب للحقيقة وبعيد عن الصواب.

الموقع والدلالات

كرامة ارض كربلاء

يبدو من الكثير من الروايات ان كربلاء بقعة مقدسة ومما يدل على ذلك ما روي عن الامام عليه (ع): (خرج أمير المؤمنين علي (عليه السلام) يسير بالناس حتى إذا كان من كربلاء على مسيرة ميل أو ميلين تقدم بين أيديهم حتى صار بمصارع الشهداء ، ثم قال : قبض فيها مائتا نبي ومائتا وصي ومائتا سبط كلهم شهداء باتباعهم ، فطاف بها على بغلته خارجا رجله من الركاب ، فأنشأ يقول : مناخ ركاب ومصارع شهداء لا يسبقهم من كان قبلهم ولا يلحقهم من أتى بعدهم)[١].

---

١ كامل الزيارات، ابن قولويه، ص٤٥٣

فالنص السابق يدل بوضوح على شرف وقداسة هذه البقعة من خلال بيان الامام الى انه قبض فيها مائتا نبي ومائتا وصي و مائتا سبط كلهم شهداء.

كربلاء موضع لمقتل سيد الشهداء:

يمكن النظر لاختيار كربلاء كمحطة اخيرة في نهضة الامام الحسين (ع) من زاويتين:

الاولى: من الناحية الغيبية، أي من ناحية ما اخبر به النبي (ص) قبل وقوعه وبغض النظر عن مجريات الاحداث التي قادت الى ان يستقر الحسين في ارض كربلاء، وهناك جملة من الروايات تفيد بان اختيار تلك الارض كان اختيارا مسبقا وان النبي واهل البيت قد اطلعوا على ان مصرع الحسين (ع) سيكون في ارض كربلاء، ومن تلك الروايات:

(عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ لَمَّا وَلَدَتْ فَاطِمَةُ الْحُسَيْنَ ع جَاءَ جَبْرَئِيلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (ص) فَقَالَ لَهُ إِنَّ أُمَّتَكَ تَقْتُلُ الْحُسَيْنَ ع مِنْ بَعْدِكَ ثُمَّ قَالَ أَ لَا أُرِيكَ مِنْ

تُرْبَتِهِ فَضَرَبَ بِجَنَاحِهِ فَأَخْرَجَ مِنْ تُرْبَةِ كَرْبَلَاءَ وَ أَرَاهَا إِيَّاهُ ثُمَّ قَالَ هَذِهِ التُّرْبَةُ الَّتِي يُقْتَلُ عَلَيْهَا)[١]

الثانية: من زاوية تسلسل الاحداث وطبيعة المؤثرات في مسيرة الحسين (ع) على الارض، ومن يرصد تسلسل الاحداث يجد انه (ع) خرج من المدينة بعد وصول خبر موت معاوية وطلب البيعة ليزيد وامتناعه عن بيعته ببضعة ايام، فقد خرج من المدينة المنورة قاصداً مكة في اخر رجب عام ٦٠ هجرية، وصل مكة في ٣ شعبان، وبقي في مكة يبين موقفه من بيعة يزيد وانه يرفض البيعة ويحث الناس على عدم البيعة ثم خرج من مكة قاصداً العراق في ٨ ذي الحجة عام ٦٠، فمدة بقائه في مكة اكثر من خمسة اشهر ثم في الثاني من محرم عام ٦١ وصل كربلاء.

في طول فترة بقاء الامام في مكة وهي اكثر من خمسة اشهر صادفت اشهر الحج، الذي يمثل اكبر تجمع لكل المسلمين من كافة الاقطار دعا الامام المسلمين الى رفض بيعة يزيد، ولكنه لم يجد التجاوب من قبلهم، كما ان المؤرخين يذكرون انه جمع أبناء المهاجرين والانصار في السنة السابقة على

---

١ المصدر السابق، ص١٣٠.

سنته تلك، وخطب فيهم معبرا عن رفضه للاعتداءات التي قام بها معاوية على اتباع اهل البيت، واوصاهم ان يخبروا من يثقون به بذلك، وقد ذكر تلك الحادثة الشيخ الطبرسي، قائلا: (فلما كان قبل موت معاوية بسنتين حج الحسين بن علي عليه السلام وعبد الله بن جعفر ، وعبد الله بن عباس معه . وقد جمع الحسين بن علي عليه السلام بني هاشم ، رجالهم ونساءهم ، ومواليهم ، وشيعتهم ، من حج منهم ومن لم يحج ، ومن الأنصار ممن يعرفونه ، وأهل بيته ، ثم لم يدع أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ومن أبنائهم والتابعين ، ومن الأنصار المعروفين بالصلاح والنسك إلا جمعهم فاجتمع عليه بمنى أكثر من ألف رجل ، والحسين عليه السلام في سرادقه عامتهم التابعون وأبناء الصحابة ، فقام الحسين عليه السلام فيهم خطيبا ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أما بعد : فإن الطاغية قد صنع بنا وبشيعتنا ما قد علمتم ورأيتم وشهدتم وبلغكم ، وأني أريد أن أسألكم عن أشياء فإن صدقت فصدقوني ، وإن كذبت فكذبوني ، اسمعوا مقالتي ، واكتموا قولي ، ثم ارجعوا إلى أمصاركم وقبائلكم من أمنتموه ووثقتم به فادعوهم إلى ما تعلمون ، فإني أخاف أن يندرس هذا الحق ويذهب ، والله متم نوره ولو كره الكافرون ، فما ترك

الحسين شيئا أنزل الله فيهم من القرآن إلا قاله وفسره ، ولا شيئا قاله الرسول في أبيه وأمه وأهل بيته إلا رواه ، وكل ذلك يقول الصحابة : (اللهم نعم ، قد سمعناه وشهدناه) ويقول التابعون : (اللهم قد حدثنا من نصدقه ونأتمنه) حتى لم يترك شيئا إلا قاله ثم قال :

أنشدكم بالله إلا رجعتم وحدثتم به من تثقون به ، ثم نزل وتفرق الناس على ذلك)[1]

ويتضح من هذه الحادثة ان الامام الحسين سعى ان يهيئ المسلمين عامة لموقفه ولكن مع الأسف كان المسلمون اما مؤيدون للأمويين او خاضعون لهم غير مستعدين للوقوف بوجههم، ما عدا اهل العراق الذي كان يتمثل في البصرة والكوفة، فقد وجد فيهم من تجاوب مع دعوته واستجاب لرفضه بيعة يزيد، ومن الطبيعي ان صاحب أي دعوة وموقف رافض حين يجد انصارا ولو قليلين او غير موثوقين، فانه يتوجه اليهم على الاقل لأجل القاء الحجة عليهم، ولا يتوجه الى بلاد لا انصار له فيها اصلا.

---

١ الاحتجاج، الطبرسي، ج٢ ص١٨.

هذا من جهة ومن جهة اخرى فان الكوفة على تنوع الولاءات التي تضمنتها الا ان فيها موالين حقيقيين لأهل البيت (ع)، ومن هنا فمن المنطقي ان يختار الامام بيئة تضم خطا مواليا له لأنها ستكون بمثابة ارض صالحة لانتشار مشروعه او عدم نسيانه واهماله الامر الذي كان سيحصل لو انه وضع مشروعه في بيئة غريبة عنه.

ومن المهم الالتفات الى انه برغم نكث الكثير من اهل الكوفة عهدهم مع الامام، الا انه في الوقت ذاته نجد ان غالبية اصحاب الحسين (ع) الذي استشهدوا معه هم من اهل الكوفة، ولو لا موقف هذه القلة التي تقارب السبعين نفرا، لما اخذت قضية الحسين ابعادها، اذ من دون التفات الأنصار حولها ستكون قابلة لان تفسر على انه موقف انفرد به الحسين (ع) ولم يوافقه عليه احد، ما يجعل للظالمين والمناوئين للطعن في ذلك الموقف ذريعة و وسيلة، بينما كان لمساندة وتضحية اشخاص معروفين بتقواهم وباهتمامهم بالقران وبصحبة النبي (ص) اثر في تعزيز الحجة على جميع المسلمين وقطع عذر من يتعذر بانه موقف شخصي للحسين (ع) ليس له من مناصر.

هذا الذي يظهر للباحث بالنظر لطبيعة مجريات الاحداث ولا يمنع ان يكون هناك أسباب ودواع اخر يمكن استفادتها بمزيد من المراجعة والتأمل والله العالم.

فضل تربة الحسين:

لتربة الحسين(ع) كرامة وفضيلة، ورد بذلك الاخبار المروية عن اهل البيت (ع)، ومن فضائلها:

اتخاذها سبحة: عن الصادق (ع) (أن من أدار الحجر من تربة الحسين (ع) فاستغفر به مرة واحدة كتب له سبعين مرة، و إن أمسك السبحة بيده و لم يسبح بها ففي كل حبة منها سبع مرات)[1]

تحنيك المولود بها: (عن الامام الصادق (ع): حنكوا أولادكم بماء الفرات و تربة الحسين عليه السلام)[2]. والتحنيك هو ان يذاب مقدار ضئيل من تربة الحسين ثم يوضع في فم المولود.

---

١ مصباح المتهجد، الطوسي، ص٧٤٣.

٢ الوافي، الفيض الكاشاني، ج٢٣ ص٣٤١.

السجود في الصلاة عليها (كان الصادق (عليه السلام) لا يسجد إلا على تربة الحسين (عليه السلام) تذللا لله و استكانة إليه)[1].

الاستشفاء بها : (عن الصَّادق (ع) قال: إِنا الله جعل تربة الحسين شفاء من كل داء)[2]

---

١ جامع احاديث الشيعة، البروجردي، ج٥ ص٢٦٧.

٢ وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج١٠ ص٤٠٩.

البصيرة: المعنى والطريق

(كان عمنا العباس نافذ البصيرة صلب الايمان)[1]

الامام جعفر بن محمد الصادق(ع)

حين نستذكر ابا الفضل نستذكره لسببين اساسيين:

الاول: لمعرفة مقامه العظيم وشخصيته الاستثنائية اذ من المهم لكل امة ان تتعرف عظمائها ومقاماتهم.

الثاني: لأجل التأسي به والعمل الجاد على اقتفاء اثره ومحاولة الاقتراب من شخصه.

---

١ مقتل الحسين، ابو مخنف، ١٧٦.

سنسلط الضوء على جانبين في ضوء ما وصف به الامام الصادق (ع) ابا الفضل العباس بانه : (نافذ البصيرة).

ما هي البصيرة؟

زود الله الانسان بأدوات يتمكن من خلالها من التعامل مع محيطه والعين من اهم الادوات، يميز بين الاشياء، يصل الى ما يقصده من الاماكن، وهكذا بقية الحواس الخمس، والحواس تتعامل مع الامور المحسوسة اي المادية الملوسة، ولكن نحن نتعامل مع امور غير محسوسة ايضا، مثلا: تعرض عليك صفقة تجارية فتحسبها بعقلك فترفضها، او ينقل لك شخص خبرا فتقيم كلامه فلا تقتنع به، والسؤال: هل ان الحساب والتقييم من عمل الحواس؟

الجواب: كلا، كما هو واضح، فالحواس ليس لها قدرة تتجاوز ان تلتقط معلومة اما حسابها وتقييمها فهو من مهمة ودور قوة اخرى، تلك القوة تسمى العقل وقد يعبر عنها بالقلب، بالعقل نحسب الصفقة وبه ندرك عدم واقعية كلام شخص لتناقضه، مثلا.

فالعقل اذن له قدرة ابصار مثل العين، وتسمى تلك القدرة ابصارا، بينما تسمى قدرة العين حاسة البصر. قوة العقل يرى الانسان فيها حقائق الامور ويتمكن ان يقرأ بين السطور.

كما ان الاستفادة من عين البصر البدنية مرهون بفتحها وعدم اغلاقها، وقرار فتحها وعدم اغلاقها بيدنا نحن، فيمكننا ان نفتحها ويمكننا ان نغلقها، فكذلك عين العقل او القلب قرار فتحها واغلاقها بيدنا وبالتالي فالاستفادة منها بيدنا ايضا، تفعيل عين البصيرة بيدنا، مثل تفعيل عين البصر تماما، قال تعالى: (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آَذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ)[1]. الجميع يسير في الارض ولكن ليس الجميع يفتح عين بصيرته بل البعض يتعمد اغلاق عين بصيرته كما يغلق احدنا عين بدنه.

فالبصيرة اذن صفة يتلبس بها المرء حين يستعمل عقله ليدرك ويرى بواطن الامور وعواقبها ونتائجها حتى قبل حصولها، فيكون معنى نافذ البصيرة هو من ان يملك المرء بصيرة حادة يمكنها ان تنفذ لأعماق الحياة

---

١ الحج:٤٦.

وتجاربها لتستكشف مآلاتها وعواقبها وقيمتها، فتميز ما يستحق الاهتمام عن ما لا يستحق.

ومن هنا نجد ان امير المؤمنين (ع) يقول: (فإنما البصير من سمع فتفكر، ونظر فأبصر، وانتفع بالعبر)[1]

فلا يقتصر سماعه على ان يسمع فقط بل يسمع ويتفكر، وعلى نظره على النظر فقط بل ينظر ويلتفت ليبصر وينتبه، ولا يمر على العبر وهي جمع عبرة مرور الكرام بل ينتفع ويستفيد من العبر.

عنه (ع) : (ليست الرؤية مع الإبصار ، فقد تكذب العيون أهلها ، ولا يغش العقل من استنصحه)[2].

وعنه (ع): (أبصر الناس من أبصر عيوبه وأقلع عن ذنوبه)[3].

معنى نافذ البصيرة ان بصيرته قوية حادة بحيث ترى ما قد يخفى على الاخرين.

---

١ عيون المواعظ، الليثي، ص١٧٨.

٢ نهج البلاغة، ج٤، ص٦٨.

٣ ميزان الحكمة، الريشهري، ج١،ص٢٦٦.

ابو الفضل العباس عرض عليه –كما يذكر المؤرخون- الأمان من القتل، في اصعب اللحظات بعد ان أحاط الظالمون بالحسين(ع)، وليس ثمة شيء ابغض للنفس من الموت، فما كان جواب ابي الفضل الا الرفض لذلك العرض، اذ يروى انه قال لشمر: (تبا لك يا شمر ولعنك الله ولعن ما جئت به من أمانك هذا يا عدو الله ! أتأمرنا أن ندخل في طاعة العناد ونترك نصرة أخينا الحسين)[1].

ضرب بذلك أبو الفضل اروع امثلة الوفاء والولاء والصدق في انتمائه للحسين (ع)، لم يكن ذلك لان نفسه لا رغبة لها بالخير، ولا تحب الجاه والكرامة، ولا تميل الى الامن والسلامة، لأن ابا الفضل كان انسانا وكان شابّا فهو مثل كل انسان، و يملك ما يملكه اي شاب من مشاعر وطموحات ورغبات وميول.

رفض ذلك اشد الرفض لأنه ادرك ببصيرته النافذة ان هذه كلها لا قيمة لها ان جاءت من الحرام لان مصيرها النهائي هو النار، وفي المقابل نجد ان

١ الفتوح، بن اعثم، ج٥ ص٩٤

معسكر يزيد لايملك البصيرة وينظر للأمور المحسوسة دون التأمل في عواقبها ونتائجها، فيغتر بظاهرها وينساق لعواقبها دون ان يتبصر فيها او يتأملها.

ولعل من اكثر ما يعمي البصيرة هو الطمع، فعن امير المؤمنين (ع) :

(اكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع)[1]، فالطمع -والعياذ بالله- يعمي قلب الانسان ويقتل عقله ليتركه جثة بلا اثر ولا نفع.

كيف نعزز البصيرة:

روي عن الامام الكاظم : (تفقهوا في دين الله فان الفقه مفتاح البصيرة)[2]، فالتفقه هو الخطوة الاولى في تعزيز البصيرة واكتسابها، لو كانت البصيرة بيتا لكان مفتاحه هو التفقه، وهو مأخوذ من الفقه، والفقه يعني الفهم المعمق الذي يتجاوز النظرة السطحية.

---

١ نهج البلاغة، ج٤،ص٤٩.

٢ تحف العقول ص٤١٠.

وبهذه المناسبة نذكّر ببعض الامور التي لابد لكلٍ منا ان يتفقه بها، ليملك مفتاح البصيرة حسب تعبير الامام الكاظم (ع):

اولا: اصول الدين: وهي التوحيد، العدل، النبوة، الامامة و المعاد، فمن الضروري لكل منا ان يبذل جهدا علميا لإثراء حصيلته في مجال العقيدة.

ثانيا: العلم بفروع الدين: الصلاة، الصوم، الحج، الخمس، الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهكذا كل تفاصيل افعالنا، نبذل وقتا لتعلمها.

ثالثا: العلم بمكارم الاخلاق، اخلاق التعامل مع الله سبحانه، مع النفس، مع الاخرين، وهكذا، و كتاب (رسالة الحقوق)[١] للإمام زين العابدين خير مصدر في ذلك.

---

١ تجدون رسالة الحقوق في الرابط المرفق:
https://istighrab.iicss.iq/files/investigations/2ggam321z.pdf

سيد الشهداء (ع):الثبات والتسليم

الحسين (ع) حجة الله:

ذكر القرآن الكريم حوارا بين الله سبحانه وبين الملائكة عندما اراد ان يجعل آدم خليفة قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً)، فكان ذلك مثار استغرابهم، وتساؤلهم (قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ)[1].

ثم بينوا لماذا استغربوا بقولهم (وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ) اي نحن اولى بان نكون الخلفاء في الارض لأننا لا نسفك الدماء ولا نفسد، فكان جوابه تعالى لهم: (قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) اي ان اختيار البشر خليفة لم يكن اعتباطا بل هو ناشئ عن سر يجهله الملائكة ويعلمه سبحانه ، ثم

---

١ البقرة:٣٠.

تكمل الآيات القصة: (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) اي صادقين في ادعائكم بانكم الاحق، فكان جوابهم (قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ، قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ).

الآيات تتحدث اذن عن مبرر جعل الانسان خليفة في هذا الارض رغم انه يفسد فيها ويسفك الدماء، وان الملائكة قد زال استغرابهم لما انبأهم ادم بأسماء الذين عرضهم الله على الملائكة فلم يعرفوا أسمائهم.

ترى من هؤلاء الذي سأل الله الملائكة عن اسمائهم؟ بحيث كانت معرفتهم سببا كافيا لجعل الانسان خليفة في الارض وسببا كافيا ايضا لإزالة استغراب الملائكة من ذلك الاستخلاف؟.

الجواب يقدمه الامام الصادق (ع) فقد روي انه قال: (إن الله تبارك و تعالى علم آدم عليه السلام أسماء حجج الله كلها، ثم عرضهم وهم أرواح على الملائكة فقال:

" أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين " أنكم أحق بالخلافة في الأرض لتسبيحكم و تقديسكم من آدم " قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم " قال الله تبارك وتعالى: " يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم " وقفوا على عظيم منزلتهم عند الله تعالى ذكره فعلموا أنهم أحق بأن يكونوا خلفاء الله في أرضه وحججه على بريته، ثم غيبهم عن أبصارهم واستعبدهم بولايتهم ومحبتهم)[1].

هذا يعني ان جعل الانسان خليفة كان منوطا بوجود حجج لله على خلقه والامام الحسين هو حجة الله على خلقه، فاصل الخلق حسب ما يعبر القران الكريم ما كان ليحصل لولا الحسين وبقية حجج الله، ومن هنا نفهم موقع الامام الحسين (ع)، في نظام الخلق ككل.

فالظاهر الذي يبدو من الآيات ومن مراجعة بعض الروايات المتعلقة به، ان خلق الانسان انما صار مبررا لان هناك من البشر من يحمل اسماء و اوصافا يستحقون بها ان يخلفوا الله سبحانه في الأرض، وانه لولا أولئك

---

١ كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، ص١٤.

الأشخاص لما خلق الله سبحانه الخلق، وان اوصاف وأسماء أولئك لم تكن الملائكة تعرفها وانما علمتها بتعليم ادم (ع).

والسؤال: هل كان هذا المقام الذي بلغه الحسين(ع) وهو مقام الخلافة والحجية، هبة مجانية او انه كان نتيجة استحقاق وامكانات ومواصفات تحلى بها سيد الشهداء؟، احاول ان اركز الضوء على صفتين في سلوك الحسين (ع) لنرى انه (ع) استحق ذلك الموقف بجهده ولم يكن مجرد منحة مجانية دون ميزان ودون ضابطة.

وانما ابين شيئا من اوصاف سيد الشهداء (ع) بحسب ما هو متاح لي من إمكانات، ولا ادعي اني اصبت كل الحقيقة، ووصلت الى عمق اوصاف ذاته الشريفة، بل حاولت الاقتراب بما يمكن من ظاهر الأمور ومجريات الاحداث.

الثبات

الانسان يألف الجماعة، الحالة الجمعية تؤثر في الانسان، ويستوحش من الانفراد، فترى من الصعب جدا ان يتخذ الانسان موقفا ويصرح به حتى لو

كان هو الحق اذا كان مخالفا لمواقف الجماعة التي ينتمي اليها ويعيش معها.

امة الاسلام يوم استلم يزيد السلطة من ابيه معاوية، كانت تعيش حالة من الاستسلام في بعضها وحالة الاحباط في الاخر وحالة الانجرار مع يزيد في ثالث.

لم يكن هناك اي تحرك حقيقي لمواجهة يزيد ونزع الشرعية عنه، فكأن الامة انساقت مع يزيد كقدر محقق لامجال لرده.

ويدل على ذلك عدم تفاعل الامة مع دعوة الحسين (ع) لرفض بيعة يزيد وتسليطه خليفة شرعي على رقاب الامة، رغم ان الحسين بذل في ذلك جهدا كبيرا امتد عدة اشهر قضاها في مكة قبل توجهه الى العراق.

مع ذلك الموقف المتخاذل اللامبالي، لم يتردد الحسين في ابداء معارضته لحكم يزيد وسعيه لعدم تمكينه على رقاب المسلمين ومقدرات الاسلام وحقائقه.

وقف الحسين ذلك الموقف الذي يتطلب شجاعة فائقة، لأن الاقدام على الانفراد عن المحيط واتخاذ موقف مغاير له تماما هو امر في غاية الصعوبة، كما تمثلت شجاعة الحسين في عدم اكتراثه بعدد من يتبعه او يقف الى جانبه قل ذلك العدد او كثر.

ان من الطبيعي ان يستمر الشجعان في معركة حتى لو تفرق عنهم اتباعهم فيبقون مستمرين على مبدئهم، وليس ليس من المعروف ان يسير الانسان الى المعركة بمفرده ليقف مواجها عشرات الالاف من الجيوش، وهنا تتجلى شجاعة الحسين واقدامه الفريد.

بادر الحسين بمفرده ولو بقي وحيدا لما تراجع.

عمل الحسين بما يمليه عليه تكليفه ودينه ولم يكتف بحثِّ وتحريض الاخرين على ذلك.

قام الحسين بما رآه واجبا ولم ينتظر ان يقوم الاخرون ايضا بواجبهم.

لم يقل لست مسئولا عن الانحراف،

لم يقل لماذا لا يبادر الاخرون،

لم يستعمل اي وسيلة للتغرير كالمال، او العروض الزائفة،

بل فقط عبر عن الحق وضرورة نصرته مهما كلف الثمن.

ثم بعد كل ما جرى عليه (ع) من اهوال ومصائب من خذلان الجماعة، الى خضوعها، الى تفرق الاتباع، الى محاصرة الأعداء، الى مفارقة الاحبة والاهل والأولاد، يحدثنا شاهد عيان من ارض المعركة معبرا عن ثبات الحسين وشجاعته، قال عبد الله بن عمارة بن عبد يغوث :

(ما رأيت [مكثورا] قط أربط جأشا من الحسين عليه السلام قتل ولده وجميع أصحابه حوله ، وأحاطت الكتائب به ، فوالله لكان يشد عليهم ، فينكشفوا عنه انكشاف المعز شد عليها الأسد)[1].

فما اشد ثبات سيد الشهداء رغم كل غربته، وما اعظم عشقه للحق رغم كل مرارته.

---

١ شرح الاخبار، القاضي النعمان المغربي، ج٣، ص١٦٤.

يحدثنا المؤرخون، انه جسده الشريف، كان فيه وجد في الحسين عليه السلام بعد أن قتل مائة خرق وبضعة عشر خرقا من السهام ، وآثار الطعن والضرب بالسيوف.

ثبات سيد الشهداء لم يكن امرا عاديا، رغم انه انهكه العطش، وتقدم السن، وفقد الاحبة، والوحدة، وكثرة الأعداء، وحرارة الشمس، رغم ذلك وجد في بدنه الشريف اكثر من مئة جرح، فلولا ثباته الفريد لما بلغ الجراح ربع هذا العدد.

التسليم لله

لنستذكر حالة الحسين في آخر ساعاته

كان الحسين غريبا، غربة الوطن وغربة الموقف..

قتل أولاده شبابهم ورضيعهم، ولده الرضيع اخوه العباس ابنه الاكبر علي واخوته وأبناء عمومته، واصحابه، كل ذلك امام عينيه في بضع ساعات..

كان الحسين محاطا بأنين الاطفال من العطش..

كان محاطا بذعر النساء والاطفال من الاعداء وترقبها من المصير الرهيب الذي ينتظرها..

كان يسمع ويرى شماتة الأعداء..

وكان الحسين عطشانا وهو شيخ يقارب الستين ..

صار كالقنفذ من كثرة السهام..

اعياه نزف الدم ..

بقي الحسين عليه السلام ثلاث ساعات من النهار مثخنا بالجراح نازفا عطشانا على ارض كربلاء

كان رامقا بطرفه إلى السماء، وقد احاط به كل انواع الابتلاءات تلك، الواحد منها كفيل بان يذهب بعقل الحليم ..

توقع ماذا قال في تلك اللحظات اخر ساعاته واخر لحظات حياته، ماذا قال وهو يعلم ان الله سبحانه مجيب الدعوات ؟

ماذا قال: الهي نجني.. الهي انا حجتك.. الهي انا بن علي .. بن الزهراء .. بن محمد ؟؟

لا ما قال اي شيء من ذلك..

ولكن قال: (إلهي صبرا على قضاءك ولا معبود سواك يا غياث المستغيثين)[1].

لم يتمتم الحسين في تلك اللحظات الا بكلمات مليئة بالصبر والتسليم والرضا بما نزل به من عظيم الابتلاء.

اعطانا الحسين (ع) بكلماته تلك في موقفه ذلك درسا، بليغا عميقا، درس يكشف لنا عن عظمة أولئك الذين سماهم آدم بأسمائهم، فكانوا هم السبب الذي خلق الله لأجله الخلق.

لم يكن الحسين حجة الله مجانا ومن دون حساب، بل كان ذلك لما في نفسه من اوصاف وخصال اهلته لأن يكون في ذلك المقام الرفيع.

---

١ ينابيع المودة، ج٣، ص٨٢، نقلا عن ابي مخنف.

نتيجة الثبات والتسليم

نتج عن ذلك الفتح، الذي عبر عنه سيد الشهداء في قوله: من لحق بنا استشهد ومن لم يلحق بنا لم يدرك الفتح.

كان الحسين اذن على بصيرة مما يفعل وماذا سوف ينتج ويحقق موقفه في عاشوراء.

بالفتح الحسيني.. تمكن الائمة من اهل البيت من ممارسة دورهم .

بالفتح الحسيني.. تمكن المسلمون ان يفرقوا بين حاكم ظالم وحاكم عادل، وحاكم عالم وحاكم جاهل.

بالفتح الحسيني.. كان الحسين (مصباح الهدى وسفينة النجاة) طبعا لمن اراد الهدى والنجاة، واما الذي لا يهمه ان ينجوا او يهلك فهذا الامر يعود اليه، ولكن من يبحث عن النجاة وعن الصراط المستقيم يعرف انه يمر بالحسين.

بالفتح الحسيني.. اصبح قبره علامة على الحق، فترى الظالمون يجتهدون على طول السنين في محاولة تهديمه او طمسه او منع الناس عنه الوصول اليه، مع انه ليس اكثر من قبر، ولكن قبر ليس مثل أي قبر، انه قبر الحسين.

بالفتح الحسيني كان بقاء الحق..

السلام عليك ابا عبد الله، اَشْهَدُ اَنَّكَ قُتِلْتَ وَلَمْ تَمُتْ بَلْ بِرَجاءِ حَياتِكَ حَيِيَتْ قُلُوبُ شيعَتِكَ، وَبِضِياءِ نُورِكَ اهْتَدَى الطّالِبُونَ اِلَيْكَ، وَاَشْهَدُ اَنَّكَ نُورُ اللهِ الَّذي لَمْ يُطْفَأْ وَلا يُطْفَأُ اَبَداً، وَاَنَّكَ وَجْهُ اللهِ الَّذي لَمْ يَهْلِكْ وَلا يُهْلَكُ اَبَداً.

في الختام، نسأل الله سبحانه ان يرزقنا معرفة الحق واتباعه ومعرفة الباطل واجتنابه، وان يوفقنا لنيل مرضاته، وان يحسن خواتيمنا، وان يرحمنا برحمته، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

المحتويات